كلية : الاداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : الاستاذ المساعد الدكتور جبران اسكندر رفيق

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ العراق المعاصر 1914 - 1945

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Contemporary Iraq History 1914-1945

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية: ثورة العراق التحررية عام 1920

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الإنكليزية : Iraq's liberation revolution in 1920

محتوى المحاضرة الرابعة

رابعاً: ثورة العراق التحررية عام 1920

بسبب سوء إدارة الاحتلال البريطاني بدأت تظهر علائم الحركة الوطنية في العراق، وقد تأسست عدد من الجمعيات في البلاد هدفها الأساسي توحيد جهود العراقيين للتخلص من سيطرة حكومة بريطانيا على مقدرات الشعب، وكان ابرزها جمعية العهد التي أسسها عزيز علي المصري عام 1913. وافتتح لها فرع في بغداد وأخرين في البصرة، كما أسس السيد طالب النقيب جمعية البصرة الإصلاحية في العام نفسه. وبعد ست سنوات أي في عام 1919 تأسست جمعية حرس الاستقلال وكان مقرها العاصمة بغداد ثم أنشئت له فروع في عدد من المدن العراقية.

وكان لانتهاء الحرب العالمية الأولى، وتوضيح موقف بريطانيا حول أمال العراقيين بالاستقلال، وقيام الحركات التحررية في الشرق الأدنى والهند، تأثير مهم في تحفيز القائمين بالحركة الوطنية العراقية على الاستمرار في تهيئة الوسائل وبذل الجهود الرامية لإنجاح القضية العراقية (الاستقلال). لا سيما وان الحركة الوطنية كسبت تأييد جماعات كبيرة من الجمهور من سكان المدن ورؤساء القبائل. مع تشجيع أكثرية رجال الدين للحركة الوطنية وإسهامهم فيها، وبعد أن أخفقت الوسائل السلمية والانتفاضات المحلية رأى العاملون في الحركة الوطنية، انه لا مناص من استعمال القوة كمحاولة أخيرة لحمل البريطانيين على تغير موقفهم تجاه أمال العراقيين في الحصول على الاستقلال. لا سيما بعد إعلان نظام الانتداب البريطاني على العراق بتاريخ 25 نيسان 1920 في مؤتمر سان ريمو. ويمكن أن نجمل أسباب ثورة عام 1920 في العراق بما يأتي:

1 : الأسباب الخارجية للثورة هي:

أ – إصرار بريطانيا على حكم العراق حكما مباشرا أو عن طريق الانتداب. فقد اتضح من أقوال المسؤولين البريطانيين إن بريطانيا لا تنوي التخلي عن حكم العراق مباشرة أو فرض الانتداب عليه على الأقل.

ب– تأثير الثورة العربية في الحجاز عام 1916 ودورها في إسقاط الحكومة العثمانية في بلاد الشام وتأسيس حكومة عربية في دمشق. وكان لثورة الحجاز صداها في العراق، وبالرغم من إن السلطات البريطانية في الهند قد عمدت إلى إخفاء أو تصغير أخبار نجاح الثورة في العراق.

ج– تأثير الثورة المصرية عام 1919 بزعامة سعد زغلول فقد قامت هذ الثورة نتيجة لاستمرار الاحتلال البريطاني لمصر، تم فرض الحماية عليها عام 1914 ولإشغال البريطانيين مناصب إدارية كبيرة في البلاد، مما أدى إلى تذمر المصريين، وما لبث هذا التذمر أن تحول إلى ثورة، اظهر فيها الشعب المصري رغبة أكيدة في الحصول على الاستقلال. وكان للثورة المصرية أثرا كبيرا في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين لا سيما بعد اطلاع العراقيين على انتصارات الشعب المصري على البريطانيين، مما قوى عزائمهم، فاخذ العراقيين يستخفون بالقوات البريطانية وبمقدرتهم الحربية فانتعشت الروح الوطنية بشكل كبير.

د– تأثير قيام الحكومة العربية في دمشق (1918 – 1920) بزعامة الأمير فيصل بن الحسين، ومساهمة جماعة من العراقيين في إدارة حكومة فيصل، ويظهر إن العراقيين الموظفين في حكومة دمشق استفادوا من مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فاخذوا يعملون على إدارة الحركة الوطنية الرامية لإنقاذ أجزاء من العراق من أيدي السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على العراق حينذاك.

هـ– تأثير الحركة الكمالية في تركيا، كان للأتراك، بحكم صلاتهم القديمة في العراق، وبحكم الجامعة الإسلامية، والعامل الجغرافي أيضا، نفوذ معنوي كبير في الأقسام الشمالية في العراق، وقد داب الأتراك عند إعلان الهدنة على تأييد الحركات الرامية لإضعاف النفوذ البريطاني في العراق. كما كان لنجاح الحركة الوطنية في تركيا بزعامة مصطفى كمال أتاتورك تأثير معنوي على العراقيين.

2: الأسباب الداخلية للثورة هي:

أ- سوء تصرف الإدارة المحلية البريطانية التي حكمت العراق بين عام - (1918 - 1920) حكما مباشرا ، وكانت السلطة البريطانية في العراق موزعة بين وزير الخارجية ووزير الشؤون الهندية في الحكومة البريطانية. وقد أناطت حكومة الهند إلى ضابط من ضباطها وظيفة الحاكم المدني العام وجعلته مسؤولا عن الإدارة المدنية، ولكنها جعلته خاضعا لسلطة القائد العام للقوات المسلحة البريطانية. ويختار الحاكم المدني العام بدور الموظفين الإداريين وهم مسؤولون أمامه. وقد قسم العراق إلى مناطق إدارية يحكمها الموظفون الإداريون تحت اسم حكام سياسيين يعاونهم في كل منطقة إدارية عدد من المعاونين حسب الحاجة وأهمية المنطقة. وكان معظم هؤلاء الحكام السياسيين من ضباط الجيش لم يألفوا الإدارة المدنية التي تختلف أساليب الحكم فيها عن الأساليب العسكرية.

وكانت سلطات الاحتلال البريطاني في العراق قد فضلت احتياجات الجيش على سواها فكان ذلك شديد الوطأة على الأهالي. كما لجأت السلطة المحتلة أحيانا بإثارة الخلاف بين رؤساء القبائل لأسباب إدارية، كما خلقت المشاحنات أيضا حتى بين أفراد القبيلة الواحدة.

ب- تأييد القبائل العراقية للثورة: عندما احتلت القوات البريطانية العراق فإنها لم تتمكن من تجريد القبائل من السلاح بالرغم من الجهود التي بذلوها في هذا الشأن. كما انهم لم يقضوا على نظام المشيخة. بل ركزو على أسس اقوى من ذي قبل. واذا علمنا إن أفراد القبائل كان لهم الدور البارز في إسناد وتأييد الثورة فان ذلك قد شكل قلقا كبيرا للإدارة البريطانية في العراق في صعوبة تحجيم حركة ثوار القبائل.

هذا ويستطيع أي باحث التاريخ من خلال تعمقه في دراسة أسباب ثورة العشرين وأحداثها وموقف القبائل العراقية منها أن يطلع على إن نوعا من الإحساس بقضية العراق العامة، ذلك الإحساس الذي تعدى حدود الاهتمام بمشكلات القبيلة ومنازعاتها المحلية إلى الاهتمام بمصلحة الوطن عامة، اخذ خلال مدة ثورة العشرين يجد طريقه إلى نفوس الكثيرين من أفراد القبائل، ولا سيما فئة الزعماء منهم. وقد احس المسؤولين البريطانيين بهذا الوعي الوطني وشهدوا أثار الفعلية، فالجنرال البريطاني هالدن يقول " شهدت اشهر صيف عام 1920 نوعا من اليقظة في الشعور الوطني الذي كان راقدا في نفوس أبناء القبائل العراقية. وقد وجدت الدعوات الدينية آذانا صاغية من تلك القبائل، فأسفرت جهود الدعاة عن قيام عدد ضخم من الثوار المسلحين ضد قواتنا".

وبالرغم من دور أفراد القبائل العراقية وزعمائها، فان المنظمات السياسية في النجف وبغداد والموصل والبصرة وغيرهن من مراكز الحركة الوطنية كانت لها علاقات وثيقة الصلة بزعماء القبائل وتحديد دورها في الثورة. هذا وقد اكد ذلك احدهم إذ قال: " إن الثورة العراقية اعظم وأنبل من أن تكون حركة قبلية... وانها لم تحتضنها مدينة واحدة من المدن العراقية ولا قبيلة واحدة في أريافه، بل أسهمت فيها سائر مدن العراق وأريافه كل حسب إمكانياتها وظروفها".

ج- تأثير الجمعيات والأحزاب السرية: لم تسمح السلطات البريطانية في العراق بقيام أحزاب سياسية علنية في البلاد، لذلك لجأ المعنيون في الحركة الوطنية إلى تأسيس جمعيات وأحزاب سرية، وأهمها فروع حزب العهد العراقي في بغداد والموصل، وحزب حرس الاستقلال وكان الحزب الأخير في المدة التي سبقت الدور المسلح للثورة، من انشط الأحزاب وأكثرها فعالية، نظرا لما ضم من شخصيات ذات شأن، ومثابرة مؤيديه على العمل السياسي. وتظهر أهمية الحزب في انه استطاع أن يضم إليه كثيرا من أعضاء الجمعيات الأخرى كجمعية الشبيبة في بغداد وأعضاء من فرع حزب العهد فضلا عن إن لحزب حرس الاستقلال صلات في المناطق العراقية الأخرى لا سيما النجف الأشرف وكربلاء المقدسة اللتين كانتا من اهم أن لم يكونا اهم مراكز الحركة الوطنية في العراق نظرا لوجود علماء الدين ذوي النفوذ الأكبر في نفوس الجمهور في تلك المدة فيهما من جهة، ولأنهما كانا ملتقى للعاملين في الحركة الوطنية، سيما في المواسم الدينية التي يجتمع فيها مئات الألوف من الناس لأداء زيارة المراقد الشيعية المقدسة.

د- العامل الوطني: لقد حصل تقدم واضح في حركة الوعي الوطني في العراق خلال المدة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وقيام ثورة عام 1920، ويظهر تقدم الوعي الوطني فيما الف من أحزاب وجمعيات سياسية. كما ظهر هذا الوعي فيما قدمه الوطنيون من احتجاجات للسلطات البريطانية ومضابط توكيلية للشريف حسين وأبنائه ليقوموا بالدفاع عن قضية العراق بالمؤتمرات الدولية، لا سيما مؤتمر الصلح في باريس الذي عقد عام 1919. وبالرغم من كل ذلك لم يبلغ العاملون في الحركة الوطنية قوة تمكنهم من تولي قيادة الثورة. ومرد ذلك يعود إلى إن الجمهور لم يبلغ درجة من الوعي السياسي يستطيع معها تفهم المرامي العميقة للحركة الوطنية وهي الحصول على استقلال العراق.

هـ - كثرة الضرائب وثقلها: لقد فرضت الإدارة البريطانية في العراق ضرائب ثقيلة على السكان وشددت على جمعها، بل إنها تضاعفت بشكل كبير. فعلى سبيل المثال، كانت حصيلة ضريبة الأرض في سامراء في عام 1917 -

1918 (29745) روبية ارتفعت إلى (165449) روبية في عام 1918 – 1919 ، بل حتى انه كانت تفرض ضريبة تسمى (الدفنية) والتي تؤخذ على كل متوفي تجاوز عمر الثلاث سنوات وجلب للدفن في مقبرة وادي السلام في النجف كانت (48000) روبية في عام 1918 ويأمل الحاكم السياسي أن تكون حصيلتها في العام القادم (1.200.000) روبية.

ولم يتضايق العراقيون من ثقل الضرائب حسب، بل من تطبيق بعض القوانين البريطانية على الشعب العراقي مما زاد من تذمرهم. ولقد كانت كثرة الضرائب وثقلها على العراقيين قد واجه معارضة شديدة من قبل أعضاء الحركة الوطنية بشكل خاص والعراقيين بشكل عام. وذلك لأن الإدارة البريطانية أيضا كانت صارمة وممعنة في التدقيق خاصة في جمع الضرائب.

و– العامل الديني: يعد العامل الديني اهم العوامل وأبعدها أثرا في تحريض العراقيين على الثورة ضد احتلال السلطات البريطاني في عام 1920 ، وقد قام العلماء المسلمون في العراق بدور فعال في حث المسلمين العراقيين على قتال القوات البريطانية إذا امتنعوا عن التسليم بحقوق العراقيين المشروعة في الاستقلال. وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بنفوذ كبير بين ابناء المجتمع العراقي .

وما إن فشلت المساعي السلمية في إقناع السلطات البريطانية بتغير موقفها تجاه مطالب العراقيين المشروعه ، استفتى جماعة من الزعماء والرؤساء الإمام الشيرازي في جواز القيام بالثورة ضد السلطات البريطانية فكتب في الجواب العبارة الآتية : " مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم ".

وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقع عظيم في نفوس العراقيين وبعد وفاة الشيرازي في 13 آب 1920 وتولى الأصفهاني المسؤولية من بعد والذي خطب خطبة طويلة حث فيها الناس على مواصلة الجهاد. وكانت الثورة حينذاك قد بلغت مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الأوسط، وامتدت جنوبا حتى الناصرية وشمالا حتى الحدود السورية ، ثم قامت إدارة مؤقتة في أهم المدن التي سيطر عليها الثوار.

وفي معرض كلامه عن تأثير رجال الدين في الأهالي يقول الحاكم البريطاني ولسن: " .... المجتهدون قد اتفقوا مع قادة الحركة الوطنية فاثروا في الجماهير ... وتمكنوا أن يخفوا معالم الاحتلال الإنكليزي العسكري للبلاد ... ".

إندلاع الثورة المسلحة:

عمل القائمون بالحركة الوطنية في المدة التي سبقت قيام الثورة المسلحة في 30 حزيران 1920 على تهيأة الظروف التي تساعدهم على المقاومة المسلحة. ومن اهم الوسائل التي لجأوا إليها تقوية الصلة برجال الدين ليتم عن طريقهم الاتصال بالجمهور العراقي لكسب تأييد للحركة الوطنية.

هذا وكانت السلطات البريطانية في المدة التي سبقت الثورة، قد نكلت بالوطنيين فنفت عددا كبيرا منهم خارج الوطن. ولذلك وبسبب سوء الإدارة البريطانية والعوامل الخارجية التي أثرت في الوطنيين العراقيين قد بلغ التذمر درجة اصبح معها النزاع المسلح وشيك الوقوع. فعقد اجتماعات متعددة ولقاءات متكررة بين الوطنيين ورجال الدين وزعماء العشائر للتوصل إلى موقف نهائي وقرار حاسم إزاء سلطات الاحتلال البريطاني.

وكان استحصال الفتاوى والرسائل من علماء الدين، من الوسائل التي إتبعها المشتغلون بالحركة الوطنية لكسب تأييد للثورة .

لقد كلفت الثورة القوات البريطانية (906) قتيل و 2476 مفقودا و 671 جريحا ، ولأجل إخمادها كان عليهم أن يكبدوا العراقيين نحو (8200) إصابة بين شهيد وجريح. كما إنها كلفت الخزينة البريطانية الكثير من الأموال حتى انه جرت مطالبة عنيفة من قبل السياسيين في بريطانيا بالجلاء عن العراق مع تصاعد وازدياد العبء على البريطانيين، وقد ذكر الفياض أعدادا أخرى عن خسائر البريطانيين والعراقيين.

ولنترك الحركات العسكرية جانبا لنلقي نظرة على التبدلات السياسية التي كان لها اثر كبير في تهدئة هذ الحركات. وكان تعيين برسي كوكس ممثلا لبريطانيا في العراق بدلا من ولسن من دلائل هذا التبدل. إذ رات الحكومة البريطانية أن تحل القضية العراقية حلا سياسيا بعد أن ظهر لها تصميم العراقيين على رفض حكمها المباشر أو غير مباشر أي عن طريق الانتداب.

لقد وصل برسي كوكس المندوب الجديد إلى بغداد في 11 تشرين الأول 1920 ، وجرت مفاوضات مع زعماء القوى الوطنية العراقية أن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة.

نتائج الثورة العراقية سنة 1920

أخمدت ثورة عام 1920 بعد حرب صعبة استمرت مدة تقارب على خمسة أشهر، تكبد فيها الفريقان المتحاربان خسائر كبيرة في الأموال والأرواح. ويعزو المستشرق السوفيتي كوتلوف فشل العراقيين في الوقوف إلى النهاية بوجه القوات البريطانية في ثورة العشرين إلى فقدان التكافؤ بين الفريقين المتحاربين في النواحي الفنية والاقتصادية والعسكرية.

وبعد انتهاء الثورة ومجيء برسي كوكس للعراق أعلنت حكومة بريطانيا الخطوط العامة للسياسة البريطانية الجديدة التي ستنظم في المستقبل بموجب معاهدة جديدة لا بصك الانتداب القديم. وكان احد اهم نتائج ثورة العشرين تشكيل حكومة عراقية.

ويظهر من خلال ذلك إن الثورة لم تحقق أهدافها كاملة كما رسمها الثوار، وإن الثمرة التي نتجت تشكيل حكومة عراقية كانت واجهة يكمن ورائها الانتداب البريطاني.

وفعلا فان معاهدة عام 1922 تضمنت بحق بريطانيا الاحتفاظ بالوضع الخاص الذي منحه إياها نظام الانتداب، واقتصادها في نفقات الاحتلال، وحفاظها على مصالحها. وفي ذلك أشار الشيخ محمد رضا الشبيبي عن الدولة الجديدة التي قامت في العراق بعد الثورة إنها " مستقلة ذات سيادة في الظاهر، ولكنها لم تكن كذلك في الواقع فالاستقلال كان استقلالا ناقصا نقصا فاضحا ، بل كان الحكم ثنائيا بين الإنكليز وبين فريق من صنايعهم وأعوانهم في غالب الأحيان، وكان الغنم للسلطة البريطانية ".

وكذلك يذكر كوتلوف في كتابة ثورة العشرين التحررية في العراق " إن الثورة الوطنية التحررية العراقية سنة 1920 لم تحقق جميع الأهداف التي عمل العراقيون على تحقيقها، فمطاليب العراقيين المتمثلة بانسحاب الجيوش

الأجنبية، والاستقلال التام، وتصفية الحكم البريطاني ما كانت مقبولة لدى الإنكليز ففرضوا نظام الوصاية على البلاد. واتخذوا إجراءات عديدة من شأنها تقوية مركزها المترنح في العراق".

بعد تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة تم ترشيح فيصل بن الحسين ليكون ملكا في العراق على أن يتعهد الأخير بتوقيع معاهدة تحالف مع الحكومة العراقية. وفعلا تقرر في مؤتمر القاهرة المنعقد في 13 آذار 1921 ترشيح الأمير فيصل بن الحسين، ليكون ملكا على العراق لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العراق المعاصر تمثلت بقيام النظام الملكي في العراق.

المصادر

1. **علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية**
2. **عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى**
3. **محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث 1918-1958**
4. **كمال مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر**